

أنوار كاشفة      سلسلة من يقول الناس إنني أنا؟      الحلقة الثانية عشرة

أنا هو الطريق والحق والحياة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد تحدثنا عن عدة عجائب قام بها المسيح تؤكد حقيقة شخصيته الإلهية. كعجوبة إقامته للعازر من القبر، وشفائه للرجل المقعد، وللرجل الذي ولد أعمى، وإطعامه للجموع الغفيرة، وأيضا عدم إدانته للمرأة الزانية. وقد رافقت هذه العجائب تصريحات هامة للمسيح، تؤكد أنه كلمة الله الأزلي المتجسد، وابن الله الوحيد. كقوله: أنا هو القيامة والحياة، أنا هو نور العالم، أنا هو خبز الحياة. أنا هو الباب، أنا هو الراعي الصالح.

وفي اللقاء الماضي تأملنا بحيرة اليهود وسؤالهم للمسيح إن كنت أنت حقا المسيح؟ وإجابة المسيح التي أكدت أنه هو المسيح رغم عدم إيمانهم به. وأنه سيعطي المؤمنين به الحياة الأبدية، وأن لا أحد يخطفهم من يده. ثم أعلن المسيح حقيقة هامة أخرى وهي أنه والله الأب واحد. أي هناك إتحاد كامل بين المسيح وكلمة الله الأزلي، والله الأب في الجوهر والطبيعة. وأن الله الأب قد قدس المسيح وأرسله إلى العالم ولهذا لُقّب بابن الله.

وفي لقاء اليوم سنتأمل بتصريحات جديدة هامة أعلنها المسيح لتلاميذه. فبعد أن تناول عشاء الفصح معهم، قال لهم: "يا أولادي أنا معكم زمانا قليلا بعد. ستطلبونني، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن." (بشارة يوحنا ١٣: ٣٣) كان المسيح يعلم، وهو العالم بكل شيء، أن ساعة صلبه وموته قد اقتربت، ولهذا أبلغ تلاميذه أي حواريه، أنه بعد فترة قليلة سيفارقهم. وأوضح لهم أنهم لن يستطيعوا الذهاب إلى المكان الذي سيذهب إليه. إن تصريح المسيح هذا قد أثار حيرة وבלبلة التلاميذ. فسأله الرسول بطرس: "يا سيد إلى أين تذهب؟ أجابه المسيح: حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبغني ولكنك ستتبغني أخيرا." (بشارة يوحنا ١٣: ٣٦)

لقد كانت خطة الله الأزلية تقضي بأن يذهب المسيح إلى الصليب، لكي يكفر عن خطية الجنس البشري بأكمله. وبالطبع لم يكن باستطاعة أحد من التلاميذ مرافقة المسيح في هذه المهمة. ثم تابع المسيح حديثه مع تلاميذه فقال لهم: "لا تضرب قلوبكم. أنتم

تؤمنون بالله فأمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة وإلا فكنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعد لكم مكانا. وإن مضيت وأعدت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا. وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق." (بشارة يوحنا ١: ١-٤)

أراد المسيح طمأنة تلاميذه، ودعاهم لكي لا يضطربوا خلال هذه الفترة القصيرة التي سيغيب فيها عنهم. وأكد لهم أنه ذاهب لكي يعد لهم المكان. فهذا هو الهدف الرئيسي لغيابه عنهم أنه سيعيد لهم المكان في ملكوت الله. أجل، إن هدف المسيح من الذهاب إلى الصليب، هو لكي يفتح الطريق واسعا أمام كل من يؤمن به، لكي يصبح له مكانا في ملكوت الله. أي لكي ينال الغفران عن خطاياهم ويغدو من أولاد الله ويحيا إلى الأبد. فلو لم يذهب المسيح إلى الصليب، لما استطاع أي إنسان أن يحصل على خلاص الله. ولهذا أوضح المسيح أنه بعد إعداده للمكان بتقديمه نفسه كفارة، سيعود إلى تلاميذه ويأخذهم إليه. أي يصبحون من شعبه، ويمكنهم معهم. وعندما يصبحون من أولاد الله، ومن رعية المسيح، لا بد أنهم سيدركون معنى ذهابه إلى الصليب، ويتأكدون من الطريق الذي أعده الله لخلاص الإنسان. مع العلم أنه توجد منازل أي أماكن كثيرة في ملكوت الله.

لقد أثارت تصريحات المسيح هذه أسئلة أكثر في أذهان التلاميذ، فبادر التلميذ توما إلى سؤال المسيح قائلاً: "يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟" (بشارة يوحنا ١: ٥) كان التلميذ توما على حق في سؤاله للمسيح، فلم يكن التلاميذ يعرفون أين سيذهب المسيح، إذ لم يكن قد استوعبوا موضوع الصليب وأهمية فداء المسيح من أجل خلاص البشر. فكيف بهم يعرفون الطريق؟ لكن المسيح أجاب توما قائلاً: "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. لو كنتم عرفتموني لعرفتم أبي أيضا. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه." (بشارة يوحنا ١: ٦-٧)

أي أراد المخلص المسيح القول: هل تريد يا توما أن تعرف الطريق المؤدي إلى الخلاص؟ أنا هو هذا الطريق. إن الإيمان بي شخصيا هو الطريق الذي ينقل الإنسان الخاطئ من الظلمة، وبضئ النور في حياته. أنا هو الطريق إلى معرفة الله الآب الحق، إلى الغفران الكامل، إلى الحياة الروحية الجديدة، إلى ملكوت الله، إلى الحياة الأبدية. أنا هو الطريق الحقيقي لكي يتمتع الإنسان بكل بركات الله.

ولنلاحظ يا صديقي قول المسيح أنا هو الطريق، فهو ليس طريقا من الطرق المؤدية إلى الله الآب، لكنه الطريق الوحيد. إذ أضاف قائلاً: ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. إن كل من أراد أن يأتي إلى الله الآب، عليه أن يؤمن بالمسيح المخلص، إذ لا توجد طريق أخرى توصلنا إلى الله الآب. والسبب لأن المسيح مات على الصليب للتكفير عن خطايانا، ولكي يصلحنا مع الله الآب. إن الله قدوس ونحن بشر خطاة. ولا توجد وسيلة نستطيع بها الاقتراب من الله الآب القدوس، سوى الإيمان بما عمله المسيح من أجلنا

على الصليب، إذ مات عوضاً عنّا، آخذاً دينونة خطايانا، لكي نصبح أبراراً بلا خطيئة. وعندما نتوب عن ذنوبنا ونؤمن بالمسيح، وعمله الكفاري من أجلنا على الصليب، يهبنا الله الغفران الكامل عن ذنوبنا، ونصبح من أولاد الله، وتغدو لنا علاقة روحية مع الله الآب القدوس.

وأعلن المسيح أيضاً أنه الحق. فهو الذي من خلال موته الكفاري على الصليب من أجل خطية الجنس البشري، أُعلن الحق الكامل. إذ أدان الله القدوس العادل الخطية، واقتصّ منها، وأخذ العدل مجراه. هذا هو الحق الكامل الوحيد، الذي يهب الإنسان الخلاص ويجعله من أولاد الله المبررين. إن المسيح هو الحق الذي يجب أن نؤمن به لكي نتمتع بكل بركات الله الروحية.

إن المسيح ليس هو الطريق والحق فحسب، بل هو أيضاً الحياة. فبه كانت الحياة للبشر أجمعين، كما كتب البشير يوحنا في بداية بشارته. وهو الذي يهب كل من يؤمن به الحياة الحقّة، أي الحياة التي تبقى إلى الأبد.

أجل، إن المسيح هو الطريق والحق والحياة. فما أعظم هذه الحقيقة وما أعمقها. فهو الطريق المؤدي إلى الله الآب، وهو الحق الذي أُعلن من خلال موته الكفاري على الصليب، وهو الحياة التي يهبها لكل من يؤمن به.

صديقي المستمع، هل هناك أعظم من هذا الرجاء؟ وهل هناك أبهج من هذا الاختبار؟ أن يصبح الإنسان الخاطيء من أولاد الله وأن تُغفر خطاياه، ويصبح في علاقة روحية مع الله الآب؟ ألا تود مستمعي أن تحصل على هذا الاختبار المجيد؟ لم لا تأتي اليوم إلى المسيح الذي هو الطريق والحق والحياة. المسيح الذي هو الطريق الوحيد المؤدي إلى الله الآب وإلى الحياة الحقّة.